عادل السيوي بعد غياب يعود مع «نجوم عمره» بمعرض جديد:

هجرت دائرة الوجوه التي تقع خارج ذاكرة الجماعة!

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من محمود قرني:

أقام الفنان التشكيلي عادل السيوي وحشد من المثقفين والفنانين معرضه الجديد، وذلك بقاعتي «مشربية» وغاليري «كريم فرانسيس» بشارع شامبليون وسط القاهرة وضاحية الزمالك القريبة.

ويبدو ان ضيق المكان جاء سببا مباشرا في تقسيم المعرض على هذا النحو، حيث يعرض السيوي ما يقرب من السبعين عملا كلها من فن البورتريه لوجوه عشقناها وألفناها، معظمها لفنانين نعرفهم وشعراء وموسيقيين تربينا على فنونهم الرفيعة، لذلك جاء المعرض تحت عنوان «نجوم عمري».

ويبدو معرض عادل السيوي من هذه الناحية جديداً بكل المقاييس، فد غادر لاول مرة الوجوه الشهيرة لديه والتي كانت تميل الى التجريد السيمائي وتعتمد على وجوه مجهولة لاشخاص نرى انفسنا الضائعة والمجهولة فيهم، بينما يخطو بوجوهه الجديدة الى منطقة اكثر حميمية وتجسيما حيث يحتفظ لها بمعظم ملامحها في الواقع ويضفي عليها من روحه انطباعات نلمسها لاول مرة ونلمس مدى علاقتها الوثيقة بالشخصية.

وهذه الانتقالة الواعية للسيوي تعكس مسيرة من البناء والنضج الفنيين اللذين لم يتوفرا لكثيرين من جيله، فالسيوي يجيد عددا من اللغات بالاضافة الى العربية التي يكتب بها، وقد ترجم عددا كبيرا من الكتب المهمة لا سيما في نظرية التشكيل والتصوير لبولكي وليوناردو دافنشي، وهو الان يجهز لاصدار ترجمته للشاعر السكندري الايطالي «جوزيبي او نجاريتي» وهي الاعمال التي ستصدر كاملة عن دار ميريت بدعم المعهد الثقافي الايطالي، كذلك تبدو علاقة عادل السيوي الاكثر وثوقا واقترابا من الثقافة بمفهومها العام، لذلك يظل في مقدمة القراء المهمين لكل الاجناس الادبية، وهو امر نادر بين التشكيليين، كذلك يشارك في النشاط الثقافي العام، وهو احد اهم المؤسسين لحركة «ادباء وفنانون من اجل التغيير».

وفي معرض السيوي الجديد تتضافر منظومة من القيم الانسانية والفنية على السواء. فهو بالمعنى الانساني يستعيد حالة من الحنين الى لحظة مبكرة كان المجتمع المصري فيها يؤصل مشروعه التحديثي الطليعي على كل المستويات، وكان الفن بأنواعه ينهض بدور جوهري في هذا السياق، وعلى المستوى الجمالي لم يقع السيوي في ابتذال معنى البورتريه عبر القيام بمحاكاته على النحو الذي يؤكد معنى النقل، بل قدم البورتريه لاشهر واحب الشخصيات المصرية عبر خبرة عريضه بفن البورتريه الذي اعتمد عليه معظم مشروعه التشكيلي لكنه انتقل به هذه المرة الى منطقة اكثر وضوحا واكثر مباشرة، لانه تعامل مع الوجوه التي نعرفها، لكنه لم يقدمها ـ بالضبط ـ كما نعرفها، فقدم صلاح جاهين، ليلى مراد، اسمهان، اسماعيل ياسين، عبد الناصر، السادات، الشيخ امام عيسى، احمد فؤاد نجم، عبد الفتاح القصري، استيفان روستي، كما قدم اكثر من عشر لوحات للفنانة سعاد حسني.

يقول عادل السيوي: لا يزال الوجه مثيرا كبيرا بالنسبة لي، ولا اكف عن تأمله، واتعجب من تجمع الحواس كلها في تلك الكتلة الصغيرة، تدهشني رحلته عبر النظرات ذهابا وعودة. وكأنه السطح والعمق معا في آن.

الوجه يهل او يطل كما نقول: اطلالته هي حركة الروح وهي تجتاز الملامح، طاقة تشحن التقاطيع بما هو اكبر من الابعاد والنسب. ويردف السيوي: علمتنا الكتب ان الحقيقة تسعى دائما للظهور، هدفها هو التبدي، واعتقد ان هنا تكمن عظمة السطح ومجده. الوجه بالنسبة لي هو الجسد، هو الكائن بأكمله وقد تحول الى ومضة من طاقة حية تأتي نحونا.

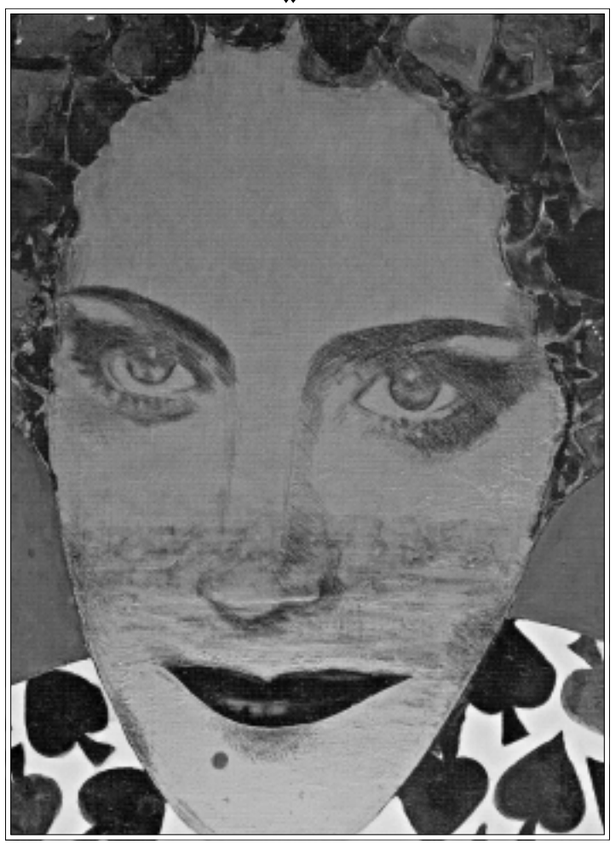

اسمهان

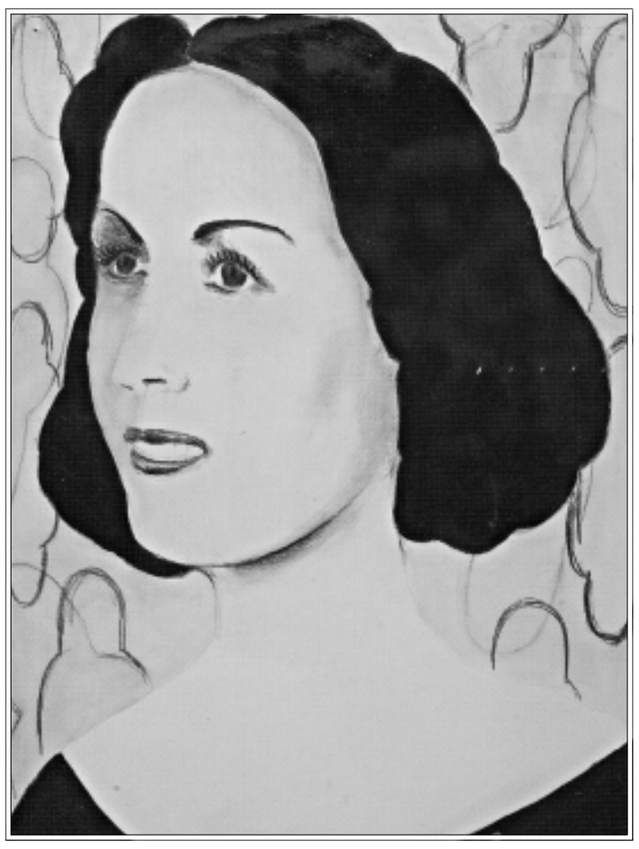

ليلى مراد

ويضيف السيوي: وجه النجم هو ذلك الوجه الموهوب للاخرين على اتساعهم. وجه منذور للمشاهدة، مفتوح للذاكرة العامة، وهناك حضور خاص في ذاكرتي لوجه النجم، ربما لانه حضور ارادي، التصق به رغم ابتعاده، لايمكن ان اضع يدي على كتفه واسير بجانبه في الشوارع واجالسه على المقاهي، ولكنني اراه واسمعه. يطربني يضحكني ويبكيني احيانا. طاقة حياة لا تكتفي بالانهماك في المسارات، وانما تنفصل عنها ونتأملها وتجسد لي اختياراتها بخيال عبر مشاعر وملامح خاصة، توقظ مناطق داخلي لا ادركها واعيش من خلالهم تجربة حياة اوسع مني، تواطؤ جرى ما بيننا، لقد كانوا اكبر واجمل برنامج دعاية للحياة، لون لي سنين عمري.

ويقول عادل السيوي عن رحلته التشكيلية: لا علم لي بالآليات التي تدفعني لاختيار مادة بصرية ما للعمل عليها، تركت في بداية التسعينيات محور انشغالي القديم وهو المدينة والامكنة، وانتقلت الى الوجه الانساني بعد ان توزعت في تفاصيل كثيرة كنت مولعا بها من قبل، وربما وددت وقتها لو افلت من الثرثرة ومن كثرة العلامات التي اقدمها. فاخترت العمل على موضوع واحد فقط وهو وجه الانسان. كان هذا في مطلع التسعينات، والان يبدو ان هاجسا ما يدفعني كي اهجر دائرة الوجوه التي الفت صياغتها والتي تقع خارج ذاكرة الجماعة، واتوقف عند وجوه بعينها. وجوه اشخاص لهم حضورهم المؤكد والفريد، هم وليس غيرهم، ويردف السيوي قائلا: يبدو ان لهذا علاقة ما بالعمر، نعم ادرك الان بعد ان قطعت الخمسين، ان الذاكرة تنمو بداخلي على حساب كل شيء، واستقبل اليوم التفاصيل محاطة بركام من روائح ومشاهد واصوات اخرى. الوجه الذي اراه يستدعي وجوها كثيرة، ربما تثاقل الجسد هو الذي ايقظ الروح واشعل ذكريات العمر لتربط التفاصيل، وتحاول خلق وحدة ونسيج متواصل ولو مصطنع مما حدث وربما دفعتني هذه الذاكرة الطاغية الى البحث عن وجوه احملها بداخلي وانقلها معي اينما ذهبت.

ويقول الناقد محسن ويفي رفيق طفولة عادل السيوي ان المعرض يستدعي لنا نجوم عمرنا ولكنه خلصهم في تجربة التشكيل من دلالاتهم كأيقونات معتمدة في الذاكرة، وخرج بهم رغم اعجابه البالغ بحضورهم اللامع الى آفاق ارحب من الوجود الفيزيقي المحدود، ولكن عند النظر الى تلك الوجوه قد نكتشف ان المسألة لا تتوقف عند حدود الاستدعاء الحنون، ويظل السؤال: من ينظر الى من؟ هل هي لعبة المرايا المتقابلة، تلعبها ذوات الحاضر والماضي مرة او مرتين فيختلط الوجه المصور بالناظر من اجل استعادة زمن اكثر حميمية، ام هي لحظة يصبح الحاضر فيها بتناقضاته المتوترة جزءا من لحظة ماضية؟

وبعد كل هذه التساؤلات يضيف محسن ويفي: هذه الذوات المؤكدة ليست مستقرة رغم رسومها الظاهرية، فقد امدتها تجربة التشكيل وعناصر التكوين المستمدة من اللحظة الحاضرة بروح اخرى وجعلتها خفيفة وقابلة للتحول، بل وجعلتنا نتحرر من تصوراتنا، فنحن لا نكاد ننغلق داخل حدود كل صورة على حدة، وانما تهبنا تلك الصور مجتمعة امكانية التحليق المستمر عبر الـ«هنا» والـ«هناك» الماضي والان. وقد نصل في تحليقنا الى المستقبل المفتوح على احتمالات لا نعرفها لعل انصهار من يرى بمن يراه يكون هو المقدمة.. ربما.

ويقول الكاتب جلال الجميعي عن المعرض: يبدو تكوين الصورة في هذه التجربة مستقرا ومتوازنا. كما تبدو المساحات اللونية صريحة وساطعة ومؤكدة، ولكن ما ان تصل الى عيون الشخصيات المفتوحة على مجهول حتى يرتبك الاتزان كله. نرتد من العيون الى المساحات اللونية نجد سطوعها وقد انقلب الى غموض واتزانها وقد تحول الى سكون موحش، اغلب هؤلاء النجوم الذين احببناهم وملأوا حياتنا بالبهجة قد رحلوا. وهذه النظرة التي في عيونهم والمطلة على المجهول لا تقدم غير الحيرة، لقد ارتدوا نفس الثياب المعتادة في حفلات الافتتاح الصاخبة واحاطت بهم نفس الالوان الساطعة التي صاحبت صورهم الاعلانية الضخمة عند بوابات السينما والمسرح ومع ذلك فانها لم تستعد ايا من صورهم الاعلانية الضخمة عند بوابات السينما والمسرح ومع ذلك فانها لم تستعد ايا من الاصوات المرحة او الضحكات الصاخبة، بعض الشخصيات استحضرت كائنات واشكالا من اجل تصميم حوار ثنائي على سطح اللوحة وبعث الحياة.

اما الشاعر ابراهيم داود فيقول: انني وسط هذه الوجوه اشعر انني اصغر سنا وان عيني القديمتين قادرتان على القفز وعلى الدهشة والاستسلام امام نفوذ «نجوم عمري» الحقيقي. صاحب المعرض يحمل بداخله شجنا قديما. كان يهرب منه طوال رحلته مع الرسم، ويضعه خلف الوانه المحتضنة ووجوهه الغائمة التي ينظر من خلالها على الانهيارات اليومية ويقف شاهدا عليها. ويضيف داوود ان السيوي في معرضه هذا جلس مع جمهوره يغني الفقد بالوان جديدة، ويحاول ان يضع الايام البريئة في مواجهة حقيقية ضد ايام لا ملامح لها، ايام لا تحتمل سذاجة اسماعيل ياسين، وقلة حيلته امام المنطق ولا تقدر على فطرة محمود شكوكو او انتصار روح صلاح جاهين للانسانية.

عادل السيوي امام لوحة «اسماعيل ياسين» (القدس العربي)

استقالة جماعية تعصف برابطة الفنانين التشكيليين الأردنيين!

إياد كنعان*

■ بما يشبه الانقلاب الابيض، وفي ظاهرة غير مسبوقة على الساحة التشكيلية الاردنية، تقدم حوالي سبع وعشرين عضوا من اعضاء الهيئة العامة لرابطة الفنانين التشكيليين الاردنيين، باستقالتهم الجماعية، وذلك في الاجتماع المقرر لاعضاء الرابطة بهدف انتخاب رئيس جديد لها، بعد استقالة رئيسها السابق الفنان مهنا الدرة الذي يرقد على سرير الشفاء بإذن الله.

لقد تضمنت القائمة المستقيلة التي تقدم بها الفنان د.خالد خريس، الذي شغل منصب رئيس الرابطة لدورتين متعاقبتين بين عامي 1995 و1999، ويشغل الان منصب مدير المتحف الوطني للفنون الجميلة، اسماء سبع وعشرين عضوا من اعضاء الهيئة العامة جلهم من رؤساء واعضاء هيئات ادارية سابقة، والهيئة الادارية الحالية، وهم: د.خالد خريس (رئيس سابق للرابطة لدورتين متعاقبتين)، سامر الطباع، حازم الزعبي (رئيس سابق للرابطة ولعدد من الدورات)، سامية الزرو، نوال العبد الله، مها قعوار (عضو هيئة ادارية)، سهيل بقاعين (عضو هيئة ادارية)، دودي الطباع، هند ناصر، كمال عريقات (عضو هيئة ادارية سابق)، حكيم جماعين، هاني علقم (عضو هيئة ادارية سابق)، رجوة بنت علي، كلارا امادو، جمان النمري (عضوة هيئة ادارية سابقة)، مازن عصفور، مها الزرو، مصطفى اليوسف (عضو هيئة ادارية سابق)، جانيت جنبلاط (عضو هيئة ادارية) مارغاريت تادرس، مكرم حاخندوقة، آلاء يونس، دانا خريس ومحمد قيتوقة، وأخيرا علي ماهر وعزيز عمورة اللذان نفيا نيتهما الاستقالة فيما بعد، في حين لم يتقدم بطلب استقالة رسمي سوى عدد محدود جدا من الاسماء التي تضمنتها القائمة.

و بغض النظر عمن استقال، او من لم يستقل، او من سيستقيل لاحقا، وبغض النظر ايضا عن الاسلوب الذي قدمت فيه الاستقالة، وعن الخطاب المتعالي والمضلل الذي رافقها، والذي قزم الفنان الاردني وشكك في اهليته الابداعية والثقافية، بالاضافة الى تقديمه صورة مغلوطة عن واقع الرابطة وازمتها الحقيقية، والمتسببين بها، فقد تراوحت مبررات الاستقالة كما رصدناها في الصحف اليومية، بين تردي وضع الرابطة عموما، وتأخر نظامها الداخلي، وعدم مواكبته لمستجدات المرحلة، ودخول اعضاء جدد الى الرابطة (في الاونة الاخيرة)، لا ينتسبون الى الفن التشكيلي بصلة، ولا تعكس تصرفاتهم غير المنضبطه اخلاقيات الفنان التشكيلي، بالاضافة الى تغول الشللية، وغياب الاسس الموضوعية والتقنية في التمثيل الخارجي، كما ذهب الفنان د.خالد خريس، الذي حث الفنانين على تقديم استقالاتهم الجماعية، مضيفا ان الفنانين المستقيلين قلبهم على الرابطة، بينما ذهب آخرون الى تبرير استقالتهم بوجود من يخرب عمل الساعين لبناء الرابطة، او الى انحسار مشاركة الفنانين الجيدين في النشاطات الفنية المختلفة، وذهب آخرون الى تحول الرابطة الى مجرد لوحة على يمين الشارع، والى غياب الدعم وغيرها من المبررات...

و نحن اذ نعتبر ان قرار الاستقالة هو قرار فردي، لا يعكس تصميم الفنان الاردني على مواصلة مشروعه الابداعي، ودعمه المتواصل للرابطة باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للفن والفنان التشكيلي الاردني، بموجب القانون الداخلي للرابطة الذي أقر من قبل وزارة الثقافة الاردنية، والذي ينص بموجب المادة رقم 49 على ما يلي: (الرابطة هي الممثل الوحيد للفنانين التشكيليين في الاردن ومدينة عمان ـ العاصمة ـ هي المقر الرئيسي، وللرابطة الحق في فتح فروع لها اذا دعت الضرورة لذلك).

و في حين اكد الاعضاء المستقيلون على نيتهم انشاء تجمع جديد للفنانين التشكيليين الاردنيين، يوفر المناخ المناسب للابداع على حد قولهم، ويعتمد على اسس عصرية في الانتساب، أتساءل بين هلالين: (اين كان هؤلاء الاعضاء وجلهم تقلد مناصب قيادية في الرابطة، من الفساد والشللية وتهميش الفنان الاردني، بل حتى اهانته والتطاول عليه، اثناء تواجدهم في دفة الادارة، وكيف يتنصل هؤلاء من مسؤولياتهم التي يجب ان يتحملوا أوزارها، والتي لا يمكن ان يديروا ظهورهم لها بحجة عدم اهلية الفنان التشكيلي الاردني، وافتقاره للخبرة، كما ذهب الفنان مهنا الدرة، او بحجة فساد الرابطة وتغول الشللية؟ وكيف يدعي هؤلاء الشرعية لتجمعهم المزمع انشاؤه على انقاض الرابطة، بينما ينفون عن الرابطة شرعيتها الابداعية والثقافية والتاريخية، باعتبارهم الفئة الناجية، اما الاخرون فهالكون لا محالة؟ وهل الحل هو في حل الرابطة، لتذهب ادراج الرياح؟ وما هو الجديد في انشاء تجمع جديد دون معالجة الخلل ومحاسبة المسؤولين عنه؟ ربما عانت الرابطة من العديد من السلبيات التي ناضلنا لاجل تصحيحها، نحن الفنانين التشكيليين الاردنيين القابضين على جمرها، مطالبين بمحاسبة المسؤولين عن فشل الرابطة في تحقيق اهدافها في خدمة الفنان الاردني بعيدا عن الشللية والمصلحية الضيقة، لتتهم اي محاولة من تلك المحاولات بتقويض الرابطة ومحاولة هدمها، تلك المحاولات التي لم تلاق صدى لدى اي من المسؤولين في وزارة الثقافة الاردنية للاسف الشديد، او اعضاء الهيئة الادارية ورؤساء الرابطة السابقين، حيث تقدمنا بشكوى رسمية الى وزارة الثقافة مطالبين بالوقوف على الاختلالات التي تنخر جسم الرابطة، لكنها انتهت الى ادراج الوزارة، دون اتخاذ اي اجراء رسمي تجاه ما يمارس ضد الفنان التشكيلي الاردني من تهميش واقصاء، تلبية لمصالح البعض، او حفاظاً على توازنات انتخابية واهية، تخدم مصالح الفئة المتنفذة في الرابطة والمسيطرة على مقدراتها.

و كيف يدعي هؤلاء (و اقصد الفنانين المستقيلين من الرؤساء واعضاء الهيئات الادارية السابقة) التغير والثورة ضد الخراب الذي لحق بالرابطة، وهم كانوا شهودا عليه، بحكم وجودهم في موقع المسؤولية، فكل من تولى مسؤولية ادارية في الرابطة يجب ان يتحمل المسؤولية القانونية والاخلاقية عما آلت اليه الرابطة وخاصة في العشر سنين الاخيرة على وجه التحديد، ويتحمل مسؤولية تسرب كل من هب ودب الى جسم الرابطة، حتى عامل التنظيفات في الرابطة، تم منحه عضوية فيها، اين لجنة العضوية؟ ومن وقع على عضوية كل هؤلاء دون اهلية اكاديمية او ابداعية او سند قانوني؟

من المسؤول عن ذلك؟من المسؤول عن تنقل الرابطة الى اربعة مواقع مختلفة خلال عشر سنين، مع كل ما صاحب ذلك من نفقات وتكاليف تهيئة المواقع الجديدة، نرجو من المسؤولين والاخوة الزملاء اعضاء الرابطة العودة الى التقارير المالية والادارية خلال السنوات العشر الاخيرة ليتبينوا حجم الهدر الذي استنفد موارد الرابطة المحدودة اصلا، ثم اين الموقع الالكتروني الذي زُعم انه اسس وكلف ميزانية الرابطة ما يقرب من ثلاثة الاف دينار، اين هو الان؟اين اللجنة المكلفة بانتخاب المشاركين في المعارض الخارجية، وهل توجد لجنة اساسا مكلفة بهذا العمل الحساس، وكيف تم السماح لكل من هب ودب بالمشاركة بأعمال تكاد تكون مدرسية اكثر منها اعمالاً فنية مكتملة تعكس صورة مشرقة للفن التشكيلي الاردني ومخزونه الابداعي المتميز، اين محاضر المشاركة، اين الموقعون على مشاركة هؤلاء، ثم يأتي منهم من يقول:طفح الكيل، من الذي طفح كيله، لا ادري؟! من المسؤول عن خراب الرابطة، كيف نتشدق بالمبادىء والاخلاق ونحن اول من ينكثها؟ اليس العمل الابداعي في الاساس هو التزام اخلاقي قبل ان يكون التزاما ابداعياً!؟

ماذا كان موقف السادة اعضاء الهيئة الادارية المستقيلين والرؤساء السابقين من هذه السلبيات اثناء تقلدهم لمناصبهم الادارية والتحكم بمقدرات الرابطة والائتمان على مسيرتها الطويلة التي تعود الى سبعينيات القرن المنصرم، وهل يعتقد هؤلاء ان الامر سينتهي بمجرد استقالتهم، وان الرابطة ستغلق، وستنطوي صفحة كل التجاوزات والخروقات، والاذى المعنوي والمادي الذي لحق بالفنانين، وان الفنانين سينفضون من حول رابطتهم، لتترك جثة هامدة؟

رغم ذلك، ورغم كل السلبيات التي تعشش في جسد الرابطة، يجب ان ندرك ان قرار انشاء رابطة الفنانين التشكيليين الاردنيين لم يكن قرارا فرديا، بل كان نتيجة حاجة جماعية لتطوير الحركة التشكيلية الاردنية، واثرائها بالعمل الجماعي الموحد والمنسجم، ولا يملك اي من هؤلاء الفنانين قرار انهائها مهما تغول في جسم الحركة التشكيلية الاردنية، ومهما تمتع بنفوذ عال، ذلك ان رابطة الفنانين التشكيليين الاردنيين ليست بقالة يغلقها صاحبها آخر النهار ليغط بعدها في سبات عميق، كما ان الحركة التشكيلية الاردنية ليست قشة في مهب الريح، بل هي حركة وان ولدت متأخرة نسبيا، الا ان جذورها التاريخية لا تتوقف عند الستين سنة الماضية، بل تستمد شرعيتها الابداعية والثقافية والتاريخية لأكثر من عشرة الاف عام مضت، هي عمر الانسان على هذه الارض الطيبة، واذا كانت ثمة ايجابية لما حدث فتتلخص في فرز الساحة التشكيلية الاردنية، هذا الفرز الذي لا بد له ان يضع الفنان التشكيلي الاردني في اختبار حقيقي، هو اختبار ابداعي في المقام الاول، واختبار اخلاقي واستحقاق تاريخي لا بد ان يتحمل الجميع تبعاته الابداعية والاخلاقية الوخيمة.

في نهاية حديثي لا اعتقد ان ثمة مؤامرة على رابطة الفنانين التشكيليين الاردنيين، باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للفنان التشكيلي الاردني فحسب، بل ثمة مؤامرة على الحركة التشكيلية الاردنية برمتها عبر التشكيك بمرجعياتها الابداعية والثقافية والتاريخية تارة اولى، وعبر التشكيك بأهليتها واهلية الفنان الاردني تارة ثانية، وعبر الالتفاف على مقدراتها الابداعية والثقافية والتاريخية الغنية تارة ثالثة، وعبر هدم وتقويض مؤسساتها الوطنية والديمقراطية الراعية لها تارة رابعة. انّ ما حدث في رابطة الفنانين الاردنيين على فداحته، للصيغة التي قدم بها، وللخطاب المتعالي والمضلل الذي رافقها، قد يكون (او على الاقل نرجو ان يكون) بداية تحول حقيقي في سياق الحركة التشكيلية الاردنية، عبر البحث في المرجعيات التاريخية والابداعية والثقافية للتشكيل الأردني، وربما يكون ايضا بداية لاعادة الاعتبار للابداع الاردني عموما والتشكيل الاردني خصوصا، عبر الحفاظ على مكتسباته التاريخية والابداعية والثقافية، وعبر الحفاظ على مؤسساته الابداعية التي ناضل وما زال يناضل الفنان الاردني لأجل بقائها واستمرارها.

* فنان تشكيلي من الأردن

ثلاث قصائد

سعدي يوسف

الشيوعيّ الأخير يذهبُ إلى البصرة

وقالتْ لهُ: أسرَفْتَ!
كلُّ مدينة حللتَ بها أغفلْتَ عن أهلها الفكرةْ
كأن مَدارَ الكوكب اختلَّ سَيرُهُ
فلم يبقَ من ذاكَ المَدارِ سوى البصرةْ..

***

ولكنني فكّرتُ..
إن صديقتي تقولُ صواباً؛ كيف أنسى ديارَها، حديقتَها، والشرُّفةَ؟
الصيفُ أرسلَ الرسائلَ. والكرسيُّ مازالَ يقصدُ البيانو. الفتى الهنديُّ يلقي سلامَهُ سريعاً، وأعلى دوحة السرْوِ حطَّ طائرٌ عجيبٌ.. أمِن فردوسِ "ليزا" أسافرُ؟

***

تعلّمتُ أن أحكي، فلستُ مُكَتِّماً هواجسَ ليلي الأربعينَ:
أنامُ في جناحي غُراب. والسعالي ضجيعتي. ومن دميَ المسفوحِ لونُ الحوائط.. انتهيتُ إلى أن أرضعَ التيسَ. أن أرى تماسيحَ من قارٍ تغنّي. وأن أرى خيولاً عليها من عيونٍ حوافرُ..

***

وتسألُني "ليزا"، وقد أطبقَ الدُّجى: سمعتُكَ تهذي..
كنتُ أحسبُ أنني أهيمُ بوادي الجنِّ! هل كنتَ نائماً بوادي الذئاب؟ الليلَ تختضُّ.. ناضحاً شفيفَ دَمٍ.. مستنفدَ الصوت.
ربما سنفعلُ شيئاً في الغَداة. كأنني أراكَ إلى حيثُ انتويتَ تغادرُ..

***

القصّةُ، وما فيها، يا أصحابي، ويا رفاقي (لا أدري إنْ كنتم لا تزالون تستعملون كلمة "رفيق".. لا يهمّ!) أن الشيوعيّ الأخير، ذهبَ قاصداً البصرةَ، بعدَ أن ودّعَ حبيبتَه "ليزا" التي أوصتْه بألاّ يدخل البصرةَ، بعد طولِ غياب، إلاّ تحت الراية الحمراء.

***

في البصرة رايات سود
في البصرة رايات بيض
في البصرة رايات من نخل ذي أعجاز خاوية..
لكنْ في البصرة، أيضاً، وبلا أيّ كلامٍ (أرجوكم!): رايات الملكة
أعلى من كل الرايات!
«المقصودُ بالملكة هنا: إليزابَث الثانية (الأولى، كانت تمولُ القرصانَ فرانسس درْيَك في القرن السادس عشر، الميلادي طبعاً) وإليزابَث الثانية هي ملكة انجلترة والبصرة وما جاورَها في القرن الحادي والعشرين»

***

وهاهي، ذي، إذاً..
أسطورةُ الراياتِ تتبعُ فُوّهات من بنادق أهلها!
لكنني، وأنا الشيوعيّ الأخيرُ، أظلُّ أحملُ رايتي الحمراءَ..
هل ضاعتْ بنادقُنا؟
نسيناها؟
اتّخذْنا غيرَها؟
أمْ أننا ضعنا وقد ضاعتْ بنادقُنا؟
سلاماً للنصيرة!
للنصير!
لفتْية رفعوا على القُنَن الغريبة والروابي، الرايةَ الحمراءَ
سوفَ نعودُ للقمم!
الصباحُ الجَهْمُ يُطْلِقُ بُوقَنا:
بوقُ القيامة نحنُ..
أحراراً
شيوعيينَ
نرفعُ رايةً مرويّةً بدمٍ وأوحالٍ
وندخلُ أرضَنا..
.....
.....
.....
سنكونُ أجملَ من نهايتنا..

لندن 2006/5/25

الشيوعيّ الأخير يدخل الجنّة

كان الشيوعيّ الأخيرُ مؤرَّقاً في ليلة الأحد، الصديقةُ غادرتْ ظُهراً إلى باريسَ، والمطرُ الخفيفُ يجيءُ أثقلَ، لحظةً من بعد أخرى.
والنبيذُ الأسترالي الذي قد كان يكْرَعُهُ بأقداحٍ كبارٍ كادَ يصرعُهُ!
وجاءته المصيبةُ عند بطّاريّة السيّارة. الأشياءُ قد همدت؛
فماذا يفعلُ الآنَ؟
الشيوعيُّ الأخيرُ مضى ينقّبُ في الرفوف العاليات.. وثَمَّ أتربةٌ على الكتب العتيقة. ثَمَّ نسجُ العنكبوت، وما تبقّى من جَناحَي نحلةٍ.
لكنه استلَّ الكتابَ، وراحَ يقرأُ:
أمرٌ عجبٌ!
ملاكٌ جاءَ يصطحبُ الشيوعيَّ الأخيرَ إلى جنان الخُلْد..
قالَ له: لقد طوّفتُ في الآفاق سبعاً، كي أصادفَ طاهراً. كان الذين رأيتُهم قوماً عجيبينَ. الصلاةُ وكلُّ شيء. غير أني كنتُ أسألُ عن عقيق سَجيّتَين: الطُّهر والعدل. السماءُ تفتّحتْ..
فلننطلقْ، لتكونَ في الفردوس بعدَ دقيقةٍ!
كان الشيوعيُّ الأخيرُ مكوّماً فوقَ الأريكةِ
هادئَ الأنفاسِ
مبتسماً..
كأنّ روائحَ الفردوسِ تُفْعِمُ قصرَهُ الليليَّ حقّاً!

لندن 28,6,2006

الشيوعيّ الأخير يريد أن يكتبَ شعراً

من أين جاءتْ نخلةُ البصريِّ، كي تُرخي جدائلَها عليه،
وتأمرَ الأطيارَ أن تشدوَ قليلاً باسمه؟
كان الشيوعيُّ الأخيرُ ينامُ تحتَ النخلَة:
الشعراءُ قد صمتوا!
عجائبُ...
كيف يصمتُ، عن أنين النخلة، الشعراءُ؟
كيفَ يكونُ أوّلُهُمْ، كآخرِهِمْ، أصمَّ، وأبكَمَ؟
اندلعتْ حرائقُ مثلَ أشرطةِ القيامة
وامّحتْ مدنٌ،
وذابتْ تحتَ صخريج القذائف واللظى أضلاعُ عاصمةٍ...
وغابتْ نسوةٌ في وحشة الصحراءِ
يدْفُنَّ البلادَ
مولولات
ذاهبات في السوادِ...
عجائبُ!
الشعراءُ، أوّلُهُمْ، كآخرِهِمْ، أصمُّ، وأبكَمُ.
.....
.....
.....
انتبهَ الشيوعيُّ الأخيرُ:
لقد كتبتُ!

لندن 17,06,06